فاسد وقال أهل العراق تصح الولاية ويبطل الشرط » اه المراد منه

(٢) لا يعدل عن مذهب الحنفية الا فى الاحكام التي لا تنطبق على مصلحة الناس في هذا العصر اذا حكم فيها بمذهبهم وهذه حالة ضرورة أو حاجة تنزل منزلة الضرورة وبهذا الاعتبار تكون من مذهبهم لأن الحكم الذي تمس اليه الحاجة أو يضطر اليه يصير متفقاً عليه» اه المراد هنا ومنه يعلم الجواب والاجتهاد يجوز أعلى الراجح

﴿ باب الاسئلة والاجوبة ﴾

(الاجتهاد والتقليد)

(س١) م . غ . بالازهر : طالعت فى مجلتكم الغراء (م ٤) بحث الوحدة الاسلامية والاجتهاد والتقليد والرجوع الى بساطة الدين الأولى بأخذ الاحكام الدينية من الكتاب والسنة اللذين من تمسك بهما نجا ومن حاد عنهما هلك . وقد عثرت على كتاب كشف الغمة للشيخ الشعراني فاذا هو كتاب فى الحديث مرتب كترتيب كتب الفقه ذكر فيه أدلة الأئمة كلهم ولم يتعصب لمذهب من المذاهب واذا تعارض حديثان صحيحان من جهة التخفيف والتشديد حمل أحدهما على الرخصة والآخر على العزيمة ولا يحكم بنسخ حديث الا بحديث آخر مصرح بنسخ الأول كقوله عليه الصلاة والسلام « كنت نهيتكم عن الانتباذ فى الأسقية فانتبذوا في كل وعاء ولا تشربوا مسكراً » فهل أحاديث هذا الكتاب صحيحة فنعتمد عليه فى العمل؟ واذا عرض لنا حكم لم نجده فيه ولا فى غيره من كتب السنة الصحيحة كالكتب الستة ومسانيد الأئمة الاربعة فهل يجوز لنا أن نأخذ هذا الحكم من مذهب أي إمام غلب على ظننا صحة قوله أم يجب علينا ان نجتهد لأخذ ذلك الحكم أفيدوا تؤجروا

(ج) هذا الكتاب أحسن ما كتب الشعراني والخلط فيه قليل جداً وليست أحاديثه كلها صحيحة ولا حسنة بل فيها مالا يصح الاستدلال به . وأحسن منه فى هذا الباب كتاب (نيل الأوطار . شرح منتقى الاخبار) فان مؤلفه الامام الشوكاني يخرج أحاديث المنتقى ويأتي بما قاله أهل الجرح والتعديل فى أسانيدها وباستنباط الأئمة منها فهو أفضل كتاب يهدي الى فهم السنة النبوية فى أحكام العبادات والمعاملات . أما

مايعرض للانسان من المسائل التي لاذكر لها في الكتاب والمعروف من السنة فالواجب عدم البحث عنها عملا بقوله صلى الله عليه وآله وسلم «وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها» وإنما يتأتى هذا في أحكام العبادات خاصة التي تمت على عهده صلى الله عليه وآله وسلم وأنزل الله تعالى في ذلك قوله «اليوم أكملت لكم دينكم» فالعبادات لااجتهاد فيها ولا استنباط الا الاجتهاد في التمييز بين الصحيح وغيره من الأخبار وفي تحصيل ملكة العربية لفهم ذلك. والاجتهاد الحقيقي انما يكون في الاحكام الدنيوية التي يتنازع فيها الناس ولا تنازع في عبادة الله تعالى. وعند ذلك من يعرف الحق في هذه باقتداره على الاستنباط يعمل به ومن لم يعرفه أو عرفه وكان له خصم لايقبل حكمه فالواجب عليه ردّه الى أولي الامر قال تعالى «ولو ردوه الى الرسول والى أولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم». وأما السؤال عن الأخذ بقول من يغلب على الظن صحة قوله ففيه ان غلبة الظن لاتأتي الا من الاطلاع على الدليل والوقوف على وجه ترجيحه على مخالفه ان كان هنالك مخالف وهذا لانزاع فيه وصاحبه لايسمى مقلداً

مأتم عاشوراء (س ٢) ر. ع. بمصر: كنا نتوقع منكم ان تكتبوا في شهر المحرم شيئاً في انتقاد مايفعله إخواننا الشيعة من المنكرات في عاشوراء كضرب رءوسهم بالسلاح حتى تسيل منها الدماء على وجوههم وثيابهم وما يتبع ذلك مما هو مشاهد. وليس المنار خاصاً بأهل السنة حتى تنتقدوا كل المنكرات الفاشية فيهم وتتركوا إخوانهم من أهل الشيعة وإنما هو منار عام فان كنتم تجدون لهم وجهاً يسوغ مايفعلون فتفضلوا باعلامنا به.

(ج) لقد صدق السائل في حكمه بأن المنار عامّ وقد جاءنا بعد ورود هذا السؤال كتاب من بعض الفضلاء في تبريز يقول فيه ان الأمة الاسلامية أحوج الى مثل هذا «المنار» منها الى سائر المعارف وأنه ينبغي ان يكتب فيه مايرشد أهل إيران والهند ولا يصح ان يكون خطابه مع أهل مصر خاصة. ونقول ان مباحث المنار كلها عامة الا مايتعلق ببعض المسائل الجزئية وأحوال المسلمين فيها متشابهة فالعبرة فيها عامة. وما منعنا ان نتكلم في شئون البلاد الاسلامية البعيدة الا قلة الوقوف على تفصيلها

وتأثيرها وزد على ذلك قلة القراء في البلاد الايرانية على ان قليلهم لايقال له قليل لأنهم من كبار العلماء والامراء أصحاب النفوذ الروحي والاجتماعي . أما ما يفعلونه في عاشوراء من ضرب أنفسهم وجرحها بالسيوف فهو منكر تشمئز منه الجلود ويجعل المسلمين في نظر الاجانب كالوحوش أو المجانين على أنه لافائدة فيه مطلقاً . نعم كان يتصور ان يفيد لو كان لاولئك الذين قاتلوا آل البيت عليهم السلام عصبية موجودة وشوكة نافذة وهم على ظلمهم وهضمهم لأن مثل هذه الاعمال تحيي في النفوس شعور العداوة والانتقام وتوطنها على سفك دماء أولئك الاعداء ولكن أولئك الظالمين قد خضدت شوكتهم ، وذهب سلطانهم ، بل محي اسمهم من لوح الوجود حتى لانكاد نرى من ينتسب اليهم . فكان ينبغي الاكتفاء في عاشوراء بمثل ما كنا ارتأيناه في المولد النبوي والمولد الحسيني وهو ان يخطب الخطباء في سيرة صاحب المولد وما كان عليه من الخلق العظيم وما وفقه الله تعالى له من العمل النافع مع توجيه النفوس للتأسي والاقتداء به . فاذا كنا لسنا في حاجة الى الانتقام ، واذا كنا قد ذقنا نعرفنا حلاوة سلم الحسام ، واذا كنا مهددين في كل أرض لان ديننا الاسلام ، واذا كنا — كما نعلم — على خطر لاينجي منه الا الاتحاد والالتئام ، واذا كان هذا الاتحاد متعذراً من جهة وحدة السلطة والاحكام ، أفلا يجب علينا أن نلتمسه من جهة الوحدة الدينية في العقائد المتفق عليها ، والاخلاق التي لاخلاف فيها ، والأخوة التي دعانا القرآن اليها ؟ أفلا ينبغي ان تتخذ هذه المواسم مذكرات بأفضل ما كان من سلفنا ، وأنفع ما كان من أئمتنا ، ونجتهد في ان نجعل شعورنا واحداً حتى يصدق علينا قول نبينا صلى الله عليه وآله وسلم : « ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادّهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضواً تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى » : رواه الشيخان عن النعمان ابن بشير وفي رواية عنه لمسلم « المؤمنون كرجل واحد ان اشتكى عينه اشتكى كله وان اشتكى رأسه اشتكى كله »

حبس النساء بالجوع والعرى : (س ٣) ا . ع . بالازهر : يذكر بعض الناس حديثا أوّله « أجيعوا المرأة » ويظهر انه غير صحيح وان استشهد به بعض من كتب في النساء فالمرجو بيان ذلك :

(ج) جاء في آخر كتاب النكاح من كتاب (اللآلئ المصنوعة . في الأحاديث الموضوعة) للحافظ السيوطي مانصه

(ابن عدي) حدثنا محمد بن داود بن دينار حدثنا أحمد بن يونس حدثنا سعدان ابن عبدة حدثنا عبيد الله بن عبد الله العتكي عن انس مرفوعا « أحيوا النساء حيوها غير مضر وأعروهن عريا غير مبرّح لأنهن اذا سمنّ واكتسين فليس شيء احب اليهن من الخروج وان هن أصابهن طرف من العري والجوع فليس شيء أحب اليهن من البيوت وليس شيء خيرا لهن من البيوت » لايصح . العتكي عنده مناكير قال ابن عدي : وسعدان مجهول وشيخنا محمد بن داود يكذب : وقال الشوكاني في فوائده : لاأصل له وكذا «أعروا النساء يلزمن الحجال» لاأصل له . وكذا «استعينوا على النساء بالعري » :

أقول ومثل هذه الاحاديث المفتراة حديث «لاتسكنوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن المغزلة وسورة النور) رواه الخطيب عن عائشة مرفوعا وفي اسناده محمد بن ابراهيم الشامي كان يضع الحديث . وقد أخرجه الحاكم من غير طريقه وقال : انه صحيح الاسناد : — وما أسرع الحاكم في الحكم بالتصحيح — وتعقبه الحافظ ابن حجر في اطراقه فقال : ان في أسناد الحاكم عبد الوهاب بن الضحاك وهو متروك :

الاقتداء بالمخالف وطهارة الكلب (س ٥) السيد محمد طه في بربر : ماقولكم دام فضلكم في رجل شافعي المذهب اقتدى بامام مالكي توضأ بماء دون القلتين ولغ فيه كلب فهل هذه اقتدوة صحيحة ؟ وما حكم هذا الماء المتنجس بفم الكلب؟

(ج) ان المسائل الاجتهادية يعذر فيها كل مجتهد بما يراه ولا يجوز ان يكون اختلاف الرأي سببا في التفريق بين المسلمين فان كنت تتصور ان الامام الشافعي يحرّم الاقتداء بشيخه الامام مالك فحرم أنت الاقتداء بمن يتبع مالكا اتباعا للشافعي . ومعاذ الله أن يظن مسلم ذلك في الأئمة بعد قول الله تعالى « ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء » نعم ان للفقهاء في هذه المسألة قولين مصححين أحدهما الذي قلنا والثاني ان القدوة غير صحيحة ورجحه بعض المتأخرين سامحهم الله تعالى والحق

ماقلناه . وأما الماء الذي ولغ فيه كلب فقد ذهب الشافعي الى نجاسته لما ورد من الامر بغسل الاناء وتتريبه وغيره يقول بان الامر بالغسل سبع مرات مع التتريب ليس لأجل النجاسة اذ المقصود من غسل النجاسة ازالتها وليس للولوغ تأثير توقف ازالته على التسبيع والتتريب ومال بعضهم الى ان الامر تعبدي وذهب بعض الصوفية الى ان له سببا معنويا وهو ان شراب سؤره يقسي القلب . ولا يبعد ان يكون السبب هو التوقي من داء الكلب القتال : ومهما كان السبب فلا يجب على المسلم أكثر مما ورد في الحديث لانه اذا لم يظهر السبب يكون الامر تعبديا لايقاس عليه وان ظهر السبب وقفنا عنده لانتعداه

أجرة التعدية (س ٥) ومنه : اذا كان الحاكم مستوليا على البحر أو النهر واذن للناس بالعبور على المراكب ونحوها من ناحية الى أخرى وجعل على أصحاب المراكب ضريبة فهل يجوز للمسلم ان يتخذ له مركبا يعبر الناس عليه والبهائم بالاجرة ؟ (ج) نعم

باب الاخبار من القسم العلوي

(مأثرة للمنشاوي)

أحمد باشا المنشاوي من أكبر المصريين ثروة ووجاهة وقد وجه في هذه الايام نفسه الى التبرع وحبس الاراضي على معاهد العلم فأوقف على مدرسة محمد علي الصناعية مئتي فدان واشترط أن تسلم اليها بعد إنشائها بالفعل . وأوقف ثمانين فدانا على طلاب العلم في الجامع الأحمدي بطنطا وتبرع بالقسم السفلي من دار له فسيحة في طنطا لمدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية فيها . ويقال انه عازم على إنشاء مدرسة للبنات في القسم العلوي وياحبذا لو أنفذ هذا وعهد بادارتها الى الجمعية الخيرية . بل يتحدثون عنه بما هو أعظم من هذا — يتحدثون عنه بانه عازم على إنشاء مدرسة كلية وهذا هو العمل العظيم الذي نحلم به في الليل ونتمناه في النهار ونرى ان سعادة هذا القطر متوقفة عليه وان الأمة الاسلامية بمجموعها لم تستعد في مصر للقيام به تمام الاستعداد . فاذا وفق الله هذا المثري الكبير لانفاذه فانا ان نسميه محيي مصر وعظيمها وصاحب الفضل الاكبر عليها

﴿ باب الفوائد من الامالي الدينية ﴾

﴿ الدرس ٣٩ آية الله الكبرى — القرآن ﴾

فصل (*)

(م ١٠٩) « هذه الوجوه الأربعة من إعجازه بينة لا نزاع فيها ولا مرية . ومن الوجوه البينة في إعجازه من غير هذه الوجوه آي وردت بتعجيز قوم في قضايا وإعلامهم أنهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله لليهود « قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة » الآية قال ابو اسحاق الزجاج : في هذه الآية اعظم حجة واظهر دلالة على صحة الرسالة لأنه قال « فتمنوا الموت » واعلمهم انهم لن يتمنوه ابداً فلم يتمنه واحد منهم : وعن النبي صلى الله عليه وسلم « والذي نفسي بيده لا يقوله رجل منهم الا غص بريقه » يعني يموت مكانه . فصرفهم الله عن تمنيه وجزّعهم ليظهر صدق رسوله وصحة ما اوحي اليه اذ لم يتمنه احد منهم وكانوا على تكذيبه احرص لو قدروا ولكن الله يفعل ما يريد . فظهرت بذلك معجزته ، وبانت حجته ؛ قال ابو محمد الأصيلي : من اعجب امرهم انه لا يوجد منهم جماعة ولا واحد من يوم امرَ الله بذلك نبيه يقدم عليه ، ولا يجيب اليه ، وهذا موجود شاهد ان أراد ان يمتحنه منهم : وكذلك آية المباهلة من هذا المعنى حيث وفد عليه أساقفة نجران وأبوا الاسلام فانزل الله تعالى عليه آية المباهلة بقوله « فمن حاجك فيه » الآية فامتنعوا منها ورضوا بأداء الجزية وذلك ان (العاقب) عظيمهم قال لهم : قد علمتم انه نبي وأنه ما لاعن قوما نبي قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم : ومثله قوله « وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا » الى قوله « فان لم تفعلوا ولن تفعلوا » فأخبرهم أنهم لا يفعلون كما كان (١) وهذه الآية أدخل في باب الاخبار عن الغيب ولكن فيها من التعجيز ما في التي قبلها

فصل

(م ١١٠) « ومنها الروعة التي تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماعه . والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله وإنافة خطره . وهي على المكذبين به أعظم حتى كانوا يستقلون

(*) تتمة كلام القاضي عياض في الشفا (١) لعل الاصل : فكان كما قال .

سماعه ويزيدهم نفوراً كما قال تعالى ويودون انقطاعه لكراهتهم له ولهذا قال صلى الله عليه وسلم «إن القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم» وأما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته إياه مع تلاوته توليه انجذابا وتكسبه هشاشة لميل قلبه اليه وتصديقه به . قال تعالى « تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله » وقال « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل » الآية ويدل على ان هذا شيء خص به أنه يعتري من لايفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره كما روى عن نصراني أنه مر بقاريء فوقف يبكي فقيل له : مم بكيت ؟ قال : للشجا والتنظم : وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الاسلام وبعده فمنهم من أسلم لها لاول وهلة وآمن به ومنهم من كفر . فحكي في الصحيح عن جبير بن مطعم قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية «أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون » الى قوله « المصيطرون » كاد قلبي أن يطير للاسلام : وفي رواية وذلك أول ماوقر الاسلام فى قلبي . وعن عتبة بن ربيعة أنه كلم النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه فتلا عليهم حم فصلت الى قوله « صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود » فأمسك عتبة بيده على في النبي صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم أن يكف وفي رواية فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ وعتبة مصغ ملق يديه خلف ظهره معتمد عليهما حتى انتهى الى السجدة فسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقام عتبة لايدري بما يراجعه ورجع الى أهله ولم يخرج الى قومه حتى أتوه فاعتذر لهم وقال : والله لقد كلمني بكلام والله ماسمعت أذناي بمثله قط فمادريت ماأقول له : وقد حكي عن غير واحد ممن رام معارضته أنه اعترته روعة وهيبة كف بها عن ذلك فحكي ان ابن المقفع طلب ذلك ورامه وشرع فيه فمر بصبي يقرأ « وقيل ياأرض ابلعي ماءك » فرجع فمحا ماعمل وقال : أشهد ان هذا لايعارض وما هو من كلام البشر : وكان من أفصح أهل وقته . وكان يحيى بن حكم الغزال بليغ الاندلس فى زمنه فحكي أنه رام شيئاً من هذا فنظر في سورة الاخلاص ليحذو على مثالها ، وينسج بزعمه على منوالها . (قال) فاعترته خشية ورقة ، حملته على التوبة والانابة .

* * *

فصل

(م ١١١) « ومن وجوه إعجازه المعدودة كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه فقال « إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » وقال « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » الآية . وسائر معجزات الانبياء قد انقضت بانقضاء أوقاتها فلم يبق الا خبرها . والقرآن العزيز الباهرة آياته ، الظاهرة معجزاته . على ما كان عليه اليوم مدة خمس مئة عام وخمس وثلاثين سنة لأول نزوله الى وقتنا هذا حجته قاهرة ، ومعارضته ممتنعة ، والاعصار كلها طافحة بأهل البيان . حملة علم اللسان . وأئمة البلاغة . وفرسان الكلام وجهابذة البراعة ، والملحد فيهم كثير . والمعادي للشرع عتيد . فما منهم من أتى بشيء يؤثر في معارضته . ولا الفى كلمتين في مناقضته . ولا تدبر فيه على مطعن صحيح . ولا تدح المتكلف من ذهنه في ذلك الا بزند شحيح ، بل المأثور عن كل من رام ذلك انقاؤه في المجز بيديه ، وانكوص على عقبيه .

فصل

(م ١١٢) « وقد عد جماعة من الائمة ومقلدي الامة في إعجازه وجوها كثيرة منها ان قارئه لا يمله ، وسامعه لا يمجه ، بل الاكباب على تلاوته يزيده حلاوة ، وترديده يوجب له محبة ، لا يزال غضا طريا ، وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه يمل مع الترديد ، ويعادى اذا أعيد ، وكتابنا يستلذ به في الخلوات ، ويؤنس بتلاوته في الازمات . وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى أحدث أصحابها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها . ولهذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن بأنه لا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضي عبره ، ولا تفنى عجائبه . هو الفصل ، ليس بالهزل . ولا يشبع منه العلماء ، ولا تزيغ به الاهواء ، ولا تلتبس به الالسنة . هو الذي لم تنته الجن حين سمعته أن قالوا « إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد »

(م ١١٣) « ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب عامة ولا محمد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته خاصة بمعرفتها ، ولا القيام بها ، ولا يحيط بها أحد من علماء الامم . ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم . فجمع فيه من بيان علم الشرائع ، والتنبيه على طرق الحجج

لعقلية، والرد على فرق الأمم ببراهين قوية، وأدلة بينة سهلة الألفاظ . موجزة المقاصد. رام المتحذلقون بعد أن ينصبوا أدلة مثلها فلم يقدروا عليها . كقوله تعالى « أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على ان يخلق مثلهم » و« قل يحييها الذي أنشأها أول مرة » و« لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » — الى ماحواه من علوم السير ، وأنباء الأمم ، والمواعظ والحكم . وأخبار الدار الآخرة . ومحاسن الآداب والشيم. قال الله جلّ اسمه « مافرطنا في الكتاب من شيء . ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء » . ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل . » وقال صلى الله عليه وسلم : « إن الله أنزل القرآن آمراً وزاجراً وسنة خالية ومثلا مضروبا فيه نبأ كم وخبر ما كان قبلكم . ونبأ مابعدكم . وحكم مابينكم . لايخلقه طول الرد . ولا تنقضي عجائبه ، هو الحق ليس بالهزل . من قال به صدق . ومن حكم به عدل . ومن خاصم به فلج ، ومن قسم به أقسط . ومن عمل به أجر . ومن تمسك به هدي الى صراط مستقيم ، ومن طلب الهدى من غيره أضله الله . ومن حكم بغيره قصمه الله . هو الذكر الحكيم . والنور المبين . والصراط المستقيم . وحبل الله المتين . والشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه . لايعوّج فيقوّم ، ولا يزيغ فيستعتب . ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الردّ » ونحوه عن ابن مسعود وقال فيه « ولا يختلف ولا يتشانأ (١) فيه نبأ الاولين والآخرين » وفي الحديث قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم « إني منزل عليك توراة حديثة تفتح بها أعينا عميا . وآذانا صما ، وقلوبا غلفا ، فيها ينابيع العلم ، وفهم الحكمة . وربيع القلوب . » وعن كعب عليكم بالقرآن فإنه فهم المعقول . ونور الحكمة . : وقال تعالى « إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون » وقال «هذا بيان للناس وهدى» الآية فجمع فيه مع وجازة ألفاظه وجوامع كلمه أضعاف مافي الكتب قبله التي ألفاظها على الضعف منه مرات .

(م ١١٤) «ومنها جمعه فيه بين الدليل ومدلوله وذلك انه احتج بنظم القرآن وحسن وصفه

(١) المنار : تشانؤا تباغضوا ولا يظهر هنا والذي أعرفه في الرواية (يتشانّ) من تشان الجلد اذا يبس وتشنج أي انه يبقى على جدته وبهائه ورونقه دائما

وإيجازه وبلاغته وأثناء هذه البلاغة أمره ونهيه ووعده ووعيده . فالتالي له يفهم موضع الحجة والتكليف معا من كلام واحد وسورة منفردة .

(م ١١٥) «ومنها أن جعله في حيز المنظوم الذي لم يعهد ولم يكن في حيز المنثور لأن المنظوم أسهل على النفوس . وأوعى للقلوب . وأسمح في الآذان . وأحلى على الافهام . فالناس اليه أميل . والاهواء اليه أسرع .

(م ١١٦) «ومنها تيسيره تعالى حفظه لمتعلمية . وتقريبه على متحفظيه . قال الله تعالى «ولقد يسرنا القرآن للذكر » وسائر الأمم لا يحفظ كتبها الواحد منهم فكيف الجماء على مرور السنين عليهم . والقرآن ميسر حفظه للغلمان في أقرب مدة (١)

(م ١١٧) «ومنها مشاكلة بعض أجزائه ببعض وحسن ائتلاف أنواعه وائتمام أقسامها . وحسن التخلص من قصة الى أخرى . والخروج من باب الى غيره على اختلاف معانيه . وانقسام السورة الواحدة الى أمر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد وإثبات نبوة وتوحيد وتمجيد وترغيب وترهيب الى غير ذلك من فوائده دون خلل يتخلل فصوله . والكلام الفصيح إذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته . ولانت جزالته . وقل رونقه . وتقلقلت ألفاظه . فتأمل أول (ص) وما جمع فيها من أخبار الكفار وشقاقهم وتقريعهم باهلاك القرون من قبلهم وما ذكر من تكذيبهم بمحمد صلى الله عليه وسلم . وتعجبهم مما أتى به . والخبر عن اجتماع ملأهم على الكفر . وما ظهر من الحسد في كلامهم . وتعجيزهم وتوهينهم . ووعيدهم بخزي الدنيا والآخرة . وتكذيب الأمم قبلهم . وإهلاك الله لهم . ووعيد هؤلاء مثل مصابهم . وتصبير النبي صلى الله عليه وسلم على أذاهم . وتسليته بكل ما تقدم ذكره . ثم أخذ في ذكر داود وقصص الانبياء كل هذا في أوجز كلام . وأحسن نظام . ومنه الجملة الكثيرة التي انطوت عليها الكلمات القليلة وهذا كله وكثير مما ذكرنا أنه ذكر في إعجاز القرآن الى وجوه كثيرة لم نذكرها إذ أكثرها داخل في باب بلاغته . فلا نحب أن يعد فذا منفردا في إعجازه الا في باب تفصيل فنون البلاغة . وكذلك كثير مما قدمنا ذكره عنهم يعد في خواصه وفضائله لا إعجازه . وحقيقة الاعجاز الوجوه الاربعة التي ذكرنا فليعتمد عليها وما بعدها من خواص القرآن وعجائبه التي لا تنقضي والله ولي التوفيق » اهـ كلام القاضي عياض رحمه الله تعالى

(١) الاعجاز في إلهام المسلمين حفظه حتى حفظ به الدين وهذا لم يعهد في العالمين

باب شبهات النصارى وحجج المسلمين

(الشبهة الثانية على القرآن زعمهم التعارض فى كلامه)

استشهد ذلك الكاتب على سخافته هذه بأمور نأتي عليها واحدة واحدة ونبين الصواب كما فعلنا فى الشبهة الأولى

(الشاهد الاول) زعم ان وجود الآيات المتشابهات فيه ينافي كونه مبينا . وهذا دليل على انه لم يفهم معنى المتشابهات ولا معنى البيان . فهذا المسيح عليه السلام يزعم المتقدمون أنه إله وقد كان الكثير من كلامه مع تلاميذه وهم الراسخون فى دينه غير مفهوم لهم فهل يرى هذا دليلا على عجز مقام الالوهية عن البيان . أم يستدل بالشيء في مكان ويترك الاستدلال به في مكان . ؟ ولم ينقل عن الراسخين من الصحابة شيء من الاشتباه فى القرآن كما ينقل النصارى عن تلاميذ المسيح (رضي الله عن الجميع) .

المتشابهات فى القرآن آيات تشابهت وجوه دلالتها على معانيها القريبة والبعيدة حتى ليتسنى لاصحاب الزيغ تأويلها بالباطل وصرفها الى غير الصواب . وهذا أمر لا مندوحة عنه لانه ضروري في ذاته وذلك ان أهم ما يجيء به الوحي هو العلم بالله تعالى وبعالم الغيب لترتفع بذلك مدارك العقول وتعلو هم النفوس . ومن المعلوم أن الناس وضعوا ألفاظ اللغات لما يعرفون من المعاني فى هذا العالم فيتعين على من يريد أخبارهم بشيء مما لا يعرفون ان يستعير بعض ألفاظهم الموضوعة لما يعرفون وينصب القرائن لمنع الاشتباه . ولا شك أن أفهام الناس تختلف فى فهم القرائن وان الذي يريد الفتنة يسهل عليه ان يتبع ما تشابه من القول لأن له معنى يدل على ما وضع له فى الأصل ومعنى آخر تناوله بالكناية أو الاستعارة وغيرها من ضروب التجوز وهو المراد فيحمله على غير المراد ويضل به الناس . فاذا أطلق النبي على الله تعالى لفظ الأب فى مقام بيان الرحمة والعناية حمله أهل الزيغ على الأبوة الحقيقية وقالوا انه أبو الذي ولده ويصرفون من يفتنونهم عن القرائن العقلية التي تحيل الابوة الحقيقية على الله تعالى والقرائن القولية التي تطلق لفظ الأب على غير الابي كقول المسيح عليه السلام ان صح النقل ـ : « اني ذاهب الى أبي وأبيكم » : وكذلك يقال في لفظ الابن اذا أطلقه النبي على نفسه يحمله أهل الزيغ على البنوة الحقيقية مع قيام القرائن العقلية

والافظية على إحالته كسابقه. ومن ذلك اطلاقه على صانعي السلام، فيما يقولونه عن المسيح عليه السلام،

واذا أراد المعترض ان يعرف الفرق بين بيان القرآن وبيان الانجيل وبين أتباعهما فلينظر الى أثر المتشابهات في الأمتين يجد ان قومه (النصارى) كلهم قد اتبعوا ما تشابه مما حفظوا من كتابهم ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله. وأن المسلمين قد اتبعوا المحكم وردّوا المتشابه اليه فجمعوا بين النقل والعقل الا فريقا منهم لا يقام له وزن كالباطنية والمجسمة

(الشاهد الثاني) زعم ان قوله تعالى في سورة الاعراف «ان الله لا يأمر بالفحشاء» وقوله عز وجل في سورة الأنعام «ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون» يناقضان قوله جلّ شأنه «واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً» قال: لانه أثبت فيها الامر بالفسق وهو أمر بالفحشاء، واهلاك أهل قرية لان مترفيهم فسقوا فيها كما أمروا ظلم:

لا أقول ان صاحب هذا القول سيئ الفهم الى هذه الدرجة ولكنني أرجح أنه متعمد التحريف فان من له أدنى شمة من فهم اللغة والعقل لا يستجيز أن يعمد الى قول سيد في عبده: إنني أمرت عبدي فخرج عن طاعتي فعاقبته: فيفسره بأنه أمره بالخروج عن طاعته فخرج فعاقبه على الامتثال. الفسوق في اللغة الخروج عن الشيء يقال فسقت الرطبة عن قشرها وفسقت الفأرة عن جحرها: والفسوق عن أمر الله هو الخروج عنه وعدم امتثاله. أما حذف معمول «أمرنا» فهو ما تقتضيه البلاغة هنا لأن المقام مقام بيان جزاء الفسوق عن أمر الله تعالى أيا كان لا بيان ضروب التكليفات الشرعية. وما يأمر الله تعالى به معروف بالاجمال. ولا يخطر على بال عاقل أن يتدبر أحد هذا المعمول بنقيض ما تقتضي به الضرورة فيقول ان الله قال إنه أمر هؤلاء الناس ولم يقل بماذا أمرهم ونقول نحن انه أمرهم بالفسوق!! هذا غير معقول في نفسه ثم ان العبارة تنافيه بذاتها فان الفسوق يقتضي ان يكون هناك شيء يفسق عنه فاذا كان الامر متعلقا بالفسوق نفسه يكون أمراً بلا شيء. مثاله ان تقول لرجل: أمرتك بأن تخرج: ولم يكن في شيء يخرج عنه حين أمرته لا حسي كبيت ولا معنوي كعمل. فان قيل: ان الامر في الآية ينصرف الى الفسوق عما هم فيه مما يختص بهم في الجملة:

قول ان ما كانوا فيه هو الترف فيكون معنى قوله في الآية « ففسقوا فيها » انهم خرجوا من الترف ورجعوا الى القصد . وهذا نقيض ما تدل عليه الآية بابداهة وهو ان الاستمرار على الترف بعد الأمر بما جرت عادة الله تعالى ان ينزل وحيه به من الأمر بالقصد والاعتدال في الاخلاق والاعمال . هو الذي يكون سبب التدمير . وينتهي بالأمم الى شر مصير .

هذا الذي قلناه متبادر اذا تجلى لأي عامي في لغته يتيسر له ان يفهمه بلا توقف وليس هو من المتشابهات التي تبتغى بها الفتنة بالتأويل والتحريف . والآيات وراء هذا معان عالية ، وفيها معارف سامية ، هي أرفع من أن يدركها ذلك الطرف الحسير ، أو يتطاول اليها ذلك الفهم القصير ، ذلك ان آية الانعام وآية الاسراء تهديان الى أنفع سنن الله في نظام نوع الانسان ونواميس الاجتماع البشري . تدل آية الانعام على أن الأمم لا تهلك بمجرد التلبس بظلم تكون عليه مادام أهلها غافلين عما يجب عليهم الاخذ به من ضده لا ينذرهم به منذر ولا يدعوهم الى الحق داع . فاذا جاء النذير وقذف بحقه على باطلهم وبدله على ظلمهم يدمغه فاذا هو زاهق واذا بالامة في عداد الهالكين . وفي آية أخرى « وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون » والمراد بالشرك الظلم كما روي من حديث ابن مسعود مرفوعا عند أحمد والبخاري ومسلم والترمذي في تفسير قوله تعالى في سورة الانعام « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » يعني ان الأمم لا تهلك وان كانت مشركة بالله تعالى مادامت مصلحة في أعمالها وأحكامها . ويطابق هذا قوله تعالى « واذا أردنا ان نهلك قرية » الآية . فهذه الآيات تعلمنا ان سعادة الأمم أو شقاءها في هذه الحياة انما هو نتيجة سيرتها في أعمالها لان السعادة هبة إلهية على ما لا يعلم سره . والشقاوة نقمة إلهية على ما جهل أمره . وتعلمنا أيضاً ان الباطل انما يطول أمده ويبطئ نتيجته في الإهلاك اذا لم يكن هنالك حق يصادمه . ومن هنا أخذ الاستاذ الامام كلمته الحكيمة : إنما بقاء الباطل في غفلة الحق عنه : ومن هنا نفهم السر في استيلاء الافرنج على الأمم الشرقية وهو أنهم مصلحون في أعمالهم . وقد أوضحنا هذه المسائل من قبل في مقالات متعددة وحسبنا هذا في الرد على شبهة المحرفين

(الشاهد الثالث) زعم ان قوله تعالى في فرعون « فأغرقناه ومن معه جميعاً »

يناقض قوله عز وجل فيه «فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية» وقد شنع هنا على المسلمين أنهم أولوا الآية وهو يزعم أنه نجا ببدنه وروحه وإن كانت الآية ناطقة بأن بدنه هو الذي ينجو. ومحل الشبهة عنده في لفظ «ننجيك» فان ظهور الجثة بعد الموت بالغرق لا يسمى نجية وفاته أن هذا التعبير للتهكم على حد «فبشرهم بعذاب أليم» ومن تتبع ضروب التجوز في كلام البلغاء وحاول حملها على الحقيقة — وهي لا تصح عليها — يمكنه ان يموه بأن أكثر الكلام البليغ كذب. على أن الذي ينجو من الغرق يطلق عليه اسم الغريق فلو فرضنا أن الله تعالى نجى فرعون من الغرق الذي ألم به وقومه لما كان قوله «أغرقناه» مناقضا لقوله «ننجيك» فقد يغرق إنسان إنسانا ويريه خطر الهلاك ثم ينتاشه وينجيه ولكن هذا ليس مراداً هنا

الحكمة في ظهور بدن فرعون موسى بعد الغرق ظاهرة فانه استعبد الناس وادعى الالوهية بما موه على الجاهلين بسحره. ولو لم يظهر بدنه لادعى المغرورون فيه ما يدعي عبدة الحاكم العبيدي الى اليوم من أنه قد عرج الى عالم أعلى. وارتقى الى مقام أسمى. فهذا هو معنى قوله تعالى «فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية» ولو نجا بروحه وبدنه لما كان في ذلك آية على انتقام الله منه لكفره بنبيه وإيذائه لقومه (الكلام بقية)

الكرامات والخوارق

(في المقالة الثالثة عشرة في أنواع الخوارق وضروب التأويل)

(النوع الثالث انفلاق البحر وجفافه والمشي على الماء)

قال السبكي: وكل ذلك كثير وقد اتفق مثله لشيخ الاسلام وسيد المتأخرين تقي الدين بن دقيق العيد: وأقول يالبت لنا من هذا الكثير الذي يدعيه واقعة واحدة منقولة بالتواتر الصحيح المستوفي الشروط التي يذكرها السبكي في جمع الجوامع الذي ألفه لكد الافهام. لا لتراعى أحكامه في مثل هذا المقام. وفي خاتمة الفتاوى لابن حجر الهيتمي قال: في الرسالة عن بعضهم كنا في مركب فمات رجل منا فأخذنا في جهازه فلما أردنا ان نلقيه في البحر جف فحفرنا له قبراً ودفناه فارتفع الماء والمركب وسرنا

وكل مافي الباب حكايات عن مثل هذا البعض المجهول وأصحاب المركب المجهولين. ولو حكمنا فيها أصول المسلمين لعددناها من الموضوعات أو الواهيات ، وان رويت على انها من المعجزات . لانقطاع أسانيدها ، وجهالة رواتها . وأضف الى ذلك هنا شبهة الهوى . ومخالفة شروطهم في الكرامة . فقد علمت ما قاله السبكي من اشتراط الضرورة والخفاء وأين هما مما نحن فيه . نعم ان قبول هذه الحكايات يليق بأهل دين لاسند لهم في أصوله ولا في فروعه وانما هي الثقة العمياء بأن روح القدس حل في رؤسائهم وقديسيهم فعملوا العجائب ووجب قبول كل مايؤثر عنهم وان تناقضت قضاياه ، واستحال مغزاه .

اذا ثبت انفلاق البحر ثبوتا قطعيا فلا شك انه يكون من الخوارق التي يتعذر تأويلها وتعليلها. وأما المشي على الماء فيحتمل التلبيس والتأويل بحسب الاشخاص والمواقع والأزمنة ففي بعض البلاد يجمدماء النهر لشدة البرد مدة ثم يسيل ويقال ان الافرنج اخترعوا أحذية يمشون بها على الماء . بل الذي يعوّل عليه حقيقة في تعليل المشي على الماء اذا فرضنا انه ثبت ثبوتا قطعيا لايحتمل التأويل هو غلبة الروحانية التي يخف معها الجسد خفة عجيبة على نحو مايحكونه عن المشتغلين باستحضار الأرواح في أوربا فان لهم في ذلك حكايات تقرب من بعض حكايات الصوفية. على ان هؤلاء انما يوجهون نفوسهم الى الارواح يكلمونها ويرونها ولم يدعوا بأن يكونوا هم روحانيين كما يفعل الصوفية في رياضاتهم . نعم ان من الناس من لايصدق مايقال عن هؤلاء وعن أولئك ومن الناس من يصدق لأن تشابه الحوادث وتصور العلة العامة لها يقربها من العقل . وما نبغي إثبات مايقال ولا نفيه وانما نبغي إقناع من يصدق ثقته بالناقلين. أو من يشاهد شيئاً من أعمال الحاضرين. بأن ذلك غير خارج عن سنن الله تعالى في الخلق وأنه ليس من الخوارق الحقيقية وانما هو من الخوارق الاضافية أي التي تعد خوارق بالاضافة الى من لايعرف طريقها كالاعمال الصناعية التي لايعرفها الا بعض الناس . أرأيت اذا تعلم بعض الناس التخاطب (بتلغراف ماركوني) الذي يكون التخاطب به بدون واسطة الاسلاك وذهبوا الى بلد أو مملكة وجعلوا يتخاطبون به على البعد التاسع ألا يعد ذلك الناس منهم أكبر الخوارق ؟

وقد ذكروا ان الواسطة الذي يحضر الروح يخف وزنه مدة حضور الروح الى نصف ما كان ومن كان بهذه الحفة يمشي على الماء بسهولة . وسيأتي ان بعضهم كان يطير في الهواء ونقل مثل هذا أيضاً عن بعض الفلاسفة . وسنوسع القول في الامور الروحية في موضع آخر

﴿ النوع الرابع انقلاب الاعيان ﴾

قال السبكي : حكي ان الشيخ عيسى الهتار العيني أرسل اليه شخص مستهزئاً إناءين ممتلئين خمرا فصب أحدهما في الآخر وقال « بسم الله كلوا » فاذا هو سمن لم ير مثل لونه وريحه (قال) وقد أكثروا في ذكر نظير هذه الحكايات :

أقول لا يوجد نوع من الانواع يأتي فيه التلبيس والشعوذة مثل هذا النوع ولذلك ترى أكثر أعمال المشعوذين منه وهو على ضربين أحدهما الخفة والمهارة في إخفاء شيء وإحضار غيره . وثانيهما الاستعانة بالاعمال الكيماوية . فمن غرائبهم في الضرب الأول أن أحدهم يأخذ ماء من البحر في كوب ويعطيه آخر فيشربه فاذا هو شراب سكري . والحيلة فيه ان يكون تحت إبط المشعوذ أو الدجال (مدعي الولاية) إناء من الجلد أو الكاوتشك له أنبوبة دقيقة تصل الى يده فاذا غمس الكوب في البحر يوهم الرائي انه ملأه ماء وما ملأه ويفرغ فيه الشراب من الانبوبة بلطف . وقد أخبرني بعض الناس أن رجلا من المعتقدين تناول كوباً من زيت البترول وسقاه فاذا هو ماء فيه سخونة وما جاءت السخونة الا من حرارة إبطه حيث كان الماء

ومن الضرب الثاني ان بعض الدجاجلة الفساق الذين يخدعون الناس باتحال الكرامات أخذ أمام بعض العامة كوبا زجاجيا فيه شيء من الخمر فوضعه على فيه فاذا هو في أعينهم لبن أبيض . والحيلة فيه ان الخمر التي كانت فيه هي من النوع الذي يسمونه (عرقي الزبيب) ولونها كالماء حتى اذا مزجت بالماء ابيضت وصار لونها كلون اللبن الممزوج وقد كان الماء في فم الدجال فمجه في الكأس بلطف . ولو أردنا ان نملأ المنار بمثل هذه الوقائع التي تستغرب قبل كشف الستار عن وجه التلبيس فيها لفعلنا . فنقل أمثالها اذا صح سنده فهناك مايمنع من التصديق بمتنه لاحتمال دخول الغش والتلبيس فيه على الناقلين . وأنت ترى ان هذا النوع كان من أبواب الفسق والدجل . والشعوذة والحيل ،

﴿ النوع الخامس إنزواء الارض أوطيها ﴾

قال السبكي : حكوا ان بعض الاولياء كان في جامع طرسوس فاشتاق الى زيارة الحرم فأدخل رأسه فى جيبه ثم أخرجه وهو فى الحرم (قال) والقدر المشترك من الحكايات فى هذا النوع بالغ مبلغ التواتر ولا ينكره الامباهت:

أقول ان السبكي تحمس هنا فرجع الى كتابه (جمع الجوامع) وقلد حجته فى الاستدلال فزعما ان الحكايات فى انزواء الارض متواترة تواترا معنويا أي ان كثرتها تدل على أن لها أصلا وان كانت كل حكاية منها لم تثبت بخصوصها وستعلم مافيه . واعلم أنهم لايقصدون بانزواء الارض وطيها ان أطرافها تجتمع وتطوى كالثوب وانما يعنون بذلك قطع المسافة فى زمن قصير وهو مجاز صحيح واستعمله الشعراء وغيرهم قال :

وكنت اذا ماجئت ليلى أزورها أرى الارض تطوى لي ويدنو بعيدها

وما ذكره السبكي من حكاية ولي جامع طرسوس ليس من هذا النوع وانما تلك زيارة خيالية أو روحانية لانه لم يكن فيها مسير وانما قبع ذلك الولي فى مكانه كالمتنفذ فرأى نفسه في الحرم . كما يرى ذلك في الحلم . فاذا كان مثل صاحب جمع الجوامع قد اشتبه عليه الامر فمد فى هذا النوع مالبس منه فكيف تثق ببقية الناقلين لهذه الحكايات وهم فى المادة الغالبة من جهلة العوام . واذا لم تكن الوقائع صحيحة بالمرة فكيف يتألف من غير الصحيح دليل صحيح فتقول ان فى مجموع الحكايات تواترا معنويا؟

ثم إن فى أنباء قطع المسافات البعيدة فى الزمن القريب مواضع للتلبيس والإيهام فان الحكايات فى ذلك تؤثر عن السائحين المتجردين وأكثر هؤلاء خفاف سراع أهون سيرهم الوجيف فاذا مر أحدهم بمكان ثم رؤي فى مكان آخر لايكفي الزمن لبلوغه إياه فى السير المعتاد يتناقل الناس هذا ويعدونه كرامة ويبالغون فيه ويفلون وينتشر الخبر لغرام الناس بنقل مثله . وعلى هذا النحو تكثر هذه الاخبار حتى يدعي مثل التاج السبكي أنها كرامة متواترة تواتراً معنويا . ويدعي من لايفهم مثله معنى التواتر أنها متواترة تواترا حقيقيا . وينسى هؤلاء أنه يوجد فى البوادي من يسابق عتاق الخيل وعشار النياق فيسبقها . والناس يعلمون ان هذا النوع من المماول التي هدمت الدين فان

كثيراً من الدجالين الذين يدعون الولاية يتركون الصلاة ويزعمون أنهم لا يصلون الا في حرم مكة فيصدقهم الجاهلون المخدوعون

هـذه إشارة الى طريق التأويل والتلبيس التي تقل معها الثقة بالنقـل . وأما التعليل بعـد الاختبار الصحيح والثقة التامة بأن انسانا انتقل بجسمه من قطر الى آخر في زمن قصـير لا يكفي لبلوغه إياه وان كان أسرع من العتاق السبق . والجياد القرّح . فهو ان يقال ان ذلك المنتقل من الروحانيين الذين تحمل أرواحهم أبدانهم فتمر بها مر النسـيم وذلك داخل في السنن الروحية. وربما تكون في يوم من الأيام مشهورة جليـة . فيعذر من كان في غير هذه الاوقات . ينظمها في سمط الخوارق والكرامات . ويظهر فضـل الدين ان علم الناس بأن الروح والنفس . لهـا وجود مستقل وسنن غير سنن الحس .

﴿ الأنجيل الصحيح ﴾

(النبذة الثالثة من مقدمة كتاب الأناجيل للفيلسوف تولستوي)

على هذا المنوال جرت تلك الديانات الصادرة عن الروح القدس وكل واحدة منها تؤكد لنا ان ختام الوحي ونسخ الديانات السابقة بطريقة حاسمة قاطعة مما تقضي بهما كتابة الرسول بولس أو قرارات بعض المجامع أو أوامر البابوات أو الإلهـام الشخصي لبعض الناس وكنها تحاول بلا طائل الاستناد في آخر الأمر على الوحي الهابط على آباء الكنيسة أو على (الكاتشزم) الذي ألفه لوثير أو فيلارتيوس وتأبى أن تضمن نحلتها باسم أولئك المشيدين لدعائمها وتعاند في القول بان المسيح هو الذي أوحى اليهم بهذه التعاليم وتصرّ على ذلك اصراراً لو صدقناها فيه لذهبنا معها الى ان المسيح نفسه هو الذي أوحى الى أصحابها بانه اقتدى بني الانسان بعد سقوطهم بسبب خطيئة آدم وان الله يتألف من ثلاثة أشخاص وان الروح القـدس هبط على الحواريين وان المسح باليد (في تناول الاسرار) نقله الى القسيسين وان تقديس الارواح سبع مرات مما لابد منه للحياة المسيحية وغير ذلك . وهم يحملوننا على الظن بان هذه الامور كلها من تعاليم المسيح . على انا اذا تحققنا تعاليم المسيح لانجد فيها أقل إشارة

اليها ولا الى بعضها . لاجرم ان الكنائس التي تقول بهذه الاشياء ينبغي لها ان تجهر بانها من تعاليم الروح القدس وليست من تعليم المسيح فانما المسيحيون هم الذين يعتبرون الوحي الأخير الذي جاء به المسيح كما هو وارد في الاناجيل طبقا لما قاله المسيح: ان يكون لكم أستاذ غيري(١)

ويماطن بعض الناس ان هذه المسألة ليست بذات بال وانها من الامور التي لا تستحق البحث فيها ولكن مما لامراء فيه ان القوم قد أهملوا النظر اليها بعين الاعتبار الى يومنا هذا. وبدلا من بذل نهاية المجهود في تنقية تعليم المسيح من شوائب علاقته الصناعية بالعهد القديم التي لا نرى مايزكيها ويؤيدها، وتصفيته من تلك الاضافات التي ألصقتها به الاهواء باسم الروح القدس، لايزال القوم حتى يومنا هذا يوجهون همتهم كلها الى تقوية هذه الروابط التي لا أصل لها . ومن غرائب المشاهدات أننا نرى الاتفاق سائداً في هذه المسألة بين الخصمين المتعاندين وأعني بهما المتحزبين للكنائس وأرباب الافكار الحرة من أصحاب التاريخ

فاما أحزاب الكنائس الذين يقولون بان المسيح هو ثاني شخص في الثالوث فلا يريدون ان يفهموا تعليمه الا تطبيقه على الوحي الموضوع على لسان ثالث الثلاثة (أي الروح القدس الذي نطق بلسان الرؤساء) كما هو وارد بالعهد القديم وفي أوامر المجامع وقرارات آباء الكنيسة . وتراهم ينادون ويبشرون بأمور هي منتهى الحماقة ويؤكدون مع ذلك بأنها من دين المسيح . وأما الآخرون أي اولئك الذين يعتمون من اعتبار المسيح إلها فهم أيضاً يدركون عقيدته لا كما أتى هو نفسه بها ولكن على الوجه الذي صورها فيه بولس وغيره من المفسرين. فاولئك العلماء مع اعتبارهم المسيح فردا من أفراد البشر لا إلهاً يحرمونه من الحق الطبيعي الذي لكل واحد من الناس ألا وهو أن يكون مسؤلا عن أقواله فقط وغير مؤاخذ بما يقوله عنه غيره . وحينما حاولوا إيضاح تعليم المسيح نسبوا اليه أفكارا لم تخطر قط على باله وهو في قيد

المنار : الخطاب خاص بتلاميذه الذين تنقل الكنائس عنهم ان تلقوا تعليما آخر من الروح القدس ولهم ان يردوا على الفيلسوف بأن الروح القدس ليس غيره لانه على اصطلاحهم عينه لأن كل واحد من الاقانيم الثلاثة عين الآخرين

الحياة . فان القائلين بهذا المذهب وفي مقدمتهم رنان المحبوب عند الجمهور لم يروا وجها لإجهاد أنفسهم فى التمييز بين ماقال به المسيح وبين مانسبه اليه مفسرو كلامه زورا وبهتانا ولعدم زيادتهم على الكنائس فى الاهتمام بالتعمق فى فهم تعليم المسيح الصحيح انساقوا الى البحث في حوادث حياته وفي الحوادث التاريخية التي وقعت فى عصره لمعرفة أسباب نفوذه وشيوع أفكاره

على ان هذا المبحث هو كما يظهر آخر خطأ يجوز للمؤرخين ارتكابه فان المسألة التي كان عليهم السعي فى حلها هي مايأتي :

منذ ثماني عشرة مئة من السنين كان رجل فقير يعيش فى بعض الجهات وكان يصدر عنه بعض الاقوال فاضطهده الناس وشنقوه ثم نسيه العالم كله كما نسي آلافاً من الحوادث المماثلة لأمره فلم يذكره أحد من العالمين ولكن يظهر ان بعضهم بقيت في ذاكرته كلمات هذا الانسان فاعادها على مسمع من ثان فثالث ومازالت آخذة في الشيوع والانتشار حتى ان ألوف الألوف من الناس سواء فيهم العقلاء والمجانين والعالمون والجاهلون اعتقدوا اعتقادا مطلقا بأنه هو الله وحده (١) وهذا من غرائب مظاهر الكون فكيف يكون تفسير ذلك ؟

قالت الكنائس ان هذا الرجل أي المسيح هو الله حقيقة والامر واضح فى هذه الحال لايحتاج الى بيان . ولكنه اذا لم يكن هذا الانسان هو الله فكيف نفسر اعتبار الناس له إلها دون سواه ؟

أما علماء المذاهب التاريخية فقد عنوا عناية بالغة بجمع الخصائص المتعلقة بحياة ذلك الانسان (وهم في الحقيقة لم يجمعوا منها ولا واحدة سوى ماوجدوه في

---

(١) المنار : ان الناس لم يقولوا هو الله لاجل الكلمات التي ينقلونها عنه فقد نقل أحسن منها عن سليمان ولم يقولوا إنه إله ومنهم من لم يقل إنه نبي . وإنما ذلك بولس وأمثاله قالوا هذا القول وادعوا ان روح القدس يملي عليهم والخوارق تؤيدهم فصدقهم الناس لاستحواذ الوثنية عليهم وشاع ذلك . والفيلسوف ينكر عليهم إملاء روح القدس ويجحد خوارقهم ولكن إعجابه بكلمات المسيح عليه السلام ، أنسته أكبر سيئاتهم فوقع فى الاوهام .

الاناجيل وفي تاريخ (فلافيوس يوسيفوس) ولم يتفطنوا الى انهم لو توصلوا الى الوقوف على هذه الخصائص كلها ؛ ووفقوا الى اعادة حياة المسيح تامة باصغر تفاصيلها بحيث عرفوا ماأكله في يوم كذا ويوم كذا وعرفوا في أي منزل أمضى تلك الليله — لكان هذا السؤال الجوهري يبقى قائما ولا جواب عليه وهو : لماذا كان لعيسى لالغيره هذا التأثير في الناس أجمعين ؟ (١) إلجواب المطلوب لا يأتي من العلم بالطريقة التي ولد بها عيسى أو كانت تربيته على مقتضاها أو غير ذلك ولا يستنبط من العلم بالحوادث التي وقعت في رومية في ذلك العصر وكانت داعية الامم الى الاعتقاد بالخرافات والاضاليل ونحو ذلك . وانما ينال الجواب بالبحث في أمر واحد وهو معرفة التعليم الذي جاء به المسيح علما مؤكدا يقينيا ومعرفة كنه هذا التعليم الذي حمل كثيراً من الناس على جعل الرجل فوق سائر الناس واعتباره إلها منذ ثماني عشرة مئة من الاعوام

الباحث الذي يريد حل هذه المعضلة يجب عليه قبل كل شئ ان يجتهد في إدراك تعليم المسيح وأعني به تعليمه الصحيح دون تلك التفاسير الغامضة الشاذة التي ذهب اليها بعض الناس . وهو أمر أهمله الباحثون الى الآن . فان علماء التاريخ من أهل النصرانية فرحون بما ذهبوا اليه من أن المسيح ليس هو الله ولذلك تراهم لا ينفكون يسردون الدلائل على انه لم يكن فيه شئ من الالوهية ولكن لا يتفكرون في أمر بسيط لا يصح ان يغيب عن الاذهان . وهو ان الاحتجاج على كون المسيح واحدا من الناس مجردا من كل صفات الالوهية يزيد المسألة غموضا وبعدا عن الافهام.(٢)

مثال ذلك صاحبنا رنان أو الموسيو (هافيت) فقد لاحظ بسذاجة لطيفة ان المسيح

---

(١) المنار : إنه لم يكن للمسيح تأثير في الناس أجمعين كما زعم وان المعتقدين بوذا أكثر من المعتقدين بالمسيح على الوجه المعروف عند النصارى

(٢) قضى الله ان تكون السخافة حليفة لكل من يتكلم في الدين من غير طريق الاسلام . وان ارتقى بعلمه الى درجة الفلاسفة العظام . فهذه المسألة محلولة بمثل قوله تعالى «قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى الي» فالمسيح بشر كسائر الناس الا أنه امتاز بأن الله تعالى أوحى اليه . والوحي لا يرتقي بالموحى اليه الى مقام الالوهية ولا يعطيه شعبة منها على أنها ليست متشعبة بل هي الوحدة الحقيقية

لم يكن فيه قط شيء (مسيحي) أما الموسيو سوري فقد أظهر ماليس فوقه شيء من الابتهاج والارتياح حينما ذهب الى أن المسيح « كان رجلا بغير تثقيف وانه كان من ذوي العقول الساذجة »

ليس الأمر الجوهري هو إثبات عدم ألوهية المسيح ولا ان تعليمه ليس إلهيا ولا إيراد الدلائل على ان المسيح لم يكن كاثوليكيا وانما هو فهم عناصر هذا التعليم الذي ظهر للناس في أسنى المظاهر وأجلاها وأعلاها وأغلاها حتى قالوا ولا يزالون يقولون بان الرجل الذي قال به إنما هو الله . هذا هو الامر الذي حاولت البحث فيه والذي نجحت في الوصول اليه والوقوف عليه وذلك بالنسبة الى شخصي على الاقل . وهو ما أريد ابلاغه إلى إخوتي

يخيل الي ان القارئ لهذا الكتاب انما هو فرد من ذلك المجتمع العظيم الذي يتألف منه فريق المتمدنين الذين تهذبوا ودرجوا على الاعتقاد بقول احدى الكنائس ومنعوا أنفسهم على الدوام من الجهر بالانفصال عنها مع مثابت لهم من مناقضة تلك العقائد لما أرشدتهم اليه عقولهم . وأوحت به ضمائرهم . سواء كان ذلك مبنيا على صبابة باقية من الحب والاحترام لذلك التعليم المسيحي أو لاعتبارهم النصرانية كلها خرافة فهم لا يرتبطون بها الا في الظاهر . اذا كانت هذه حالة القارئ فاني أرجو ان يعمل بالمثل السائر « ألق بالخلعة في النار اذ صارت مبادة للعمل » ولكني أرجوه من باب أولى ان يتفكر ان الذي نفر منه طبعه وسمعه وظهر له بمظهر الخرافات ليس هو التعليم الصادر عن المسيح وانه من الظلم مؤاخذة المسيح بالخرافات التي علقها الناس بعده على تعليمه . وغرضي الوحيد انما هو تحديد تعليم المسيح في شكله الخاص به كما وصل الينا أي بواسطة الاقوال والافعال التي بلغنا بطريق التواتر انها أقوال المسيح وأفعاله (١) . ومن كان من القراء من الصنف الذي سبق لي وصفه فان

« ١ » المنار: ان أقوال الفيلسوف السابقة في هذه المقدمة تنفي هذا التواتر فانه قال ان أقوال المسيح لم تنقل في عهده برمتها بالكتابة ولا بالحفظ وانما كان يحفظ بعضها الواحد فيلقيه الى اثنين ثم يشتهر بعد زمن . وإنما يتحقق التواتر بنقل العدد الكثير عن المسيح نفسه ونقل مثلهم عنهم طبقة بعد طبقة بلا انقطاع

كتابي يريه ان النصرانية ليست مزيجا من الامور العالية والامور المبتذلة وانها ليست من الخرافات بل انها عبارة عن التعليم بما وراء الطبيعة الذي توصلت اليه الانسانية الى الآن بطريقة أخلاقية تهذيبية وطيدة الاركان ، ثابتة البنيان ، صافية من الشوائب ، مكملة من كل جانب ، وانها التعليم الذي ترتكز عليه بغير ادراك جميع مظاهر الانسانية العالية في السياسة والعلم والشعر والفلسفة

أما اذا كان القارئ من تلك الفرقة القليلة التي لا تزال في كل يوم آخذة في الاضمحلال وأعني بها أولئك المتمدنين الذين مالبثوا مرتبطين بتعاليم الكنيسة ويقبلون الدين لراحتهم الداخلية لا لغرض خارجي فاني أرجو هذا القارئ ان يسائل نفسه عن أعز الامرين لديه : أراحته أم الحقيقة . فان اختار الراحة سألته ان يقفل هذا الكتاب وأما اذا جنح الى الحقيقة فاني أسأله ان يعتبر تعليم المسيح المبسوط في هذا الكتاب يناقض كل ما علمه اياه الناس وانه بإزاء هذا التعليم في موقف المسلم بازاء النصرانية . فليس عليه بعد ذلك ان تكون العقيدة المشروحة في هذا الكتاب توافق عقيدته أو تخالفها بل ان يعلم أيهما أكثر انطباقا على عقله وقلبه . أعقيدة كنيسته أم عقيدة المسيح المحضة ؟ وعليه بعد ذلك ان يختار لنفسه أحد الامرين — الرضى بقبول العقيدة الجديدة أو البقاء على عقيدة كنيسته

وأما اذا كان القارئ من أولئك الذين يذهبون الى احترام عقيدة إحدى الكنائس والتسليم بها في الظاهر لا لصحة هذه العقيدة ولكن بالنظر الى اعتبار المنافع التي يجدونها فيها فهذا القارئ يجب عليه ان يقول لنفسه بانه ليس من المتهمين « بكسر الهاء » بل من المتهمين « بفتحها » مهما كان عدد الذين يماثلونه في الرأي ومهما كانت سطوتهم ومهما كانت تجان الملوك معهم ، وشهادات الاكابر منهم مصدقة لما بين أيديهم : وليس يكون ذلك القارئ من الذي تقع عليهم التهمة أمامي بل أمام المسيح . وينبغي لهذا القارئ ان يقول لنفسه انه لن يطالب « بفتح اللام » بأي برهان مما يمكنه الاتيان به من الدلائل فقد جاء بها السابقون عليه بزمان طويل وانه لو اتى بألف حجة على براءته لما كان الا في موقف يضطره إلى تزكية نفسه

نعم انه يبقى عليه ان يزكي نفسه أولا من وصمة الكفر والتدنيس اللذين ارتكبه

بجعل عقيدة المسيح الذي هو الله (تعالى الله عن هذا الزعم) كعقيدة اسدراس والمجامع وناوفيلكتس وافراغه كل قواه العقلية لتبديل كلمات الله حتى يجعلها موافقة لكلمات البشر. ثم يجب عليه أن يزكي نفسه ثانيا من «التجديف» الذي ارتكبه بحمل كل مافي قلبه من الخرافات على « حساب » المسيح الذي هو الله (سبحان الله) . ثم يبقى عليه في آخر الامر أن يزكي نفسه أيضا من الخيانة التي ارتكبها بإخفائه عن الناس دين الله الذي جاء الى الدنيا ليأتي لنا بالخلاص والسلام ؛ وبدسه دين الروح القدس بدل هذا الدين وحرمانه ألوف الالوف من الناس من الخلاص الذي جاء به المسيح لاجل الناس وبايجاده الخلاف في الشيع والمقالات وبحكم بعضها على بعض وغير ذلك من ألوف الشناعات التي يسترها بالاسم المقدس اسم المسيح

لذلك أقول ليس للقراء الذين من هذا الفريق الا ان يختاروا احد أمرين — إما ان يتوبوا بخضوع وخشوع توبة نصوحا ويرجعوا عن أكاذيبهم . وإما ان يضطهدوا ذلك الذي جاء ليلقي عليهم التهمة بما كسبوه من السيئات التي لا يزالون سيبقى وقوعها اذا لم يعدلوا عن أكاذيبهم فليس لهم سوى أمر واحد هو اضطهادي أنا وهذا هو ما أنتظره بنشر كتابي هذا . وأنني لأنتظر بفرح عظيم لا يخالجه سوى مكنون الخوف من ضعفي لأنني فرد من بني الانسان . اه

(المنار) لقد أظهرت لنا هذه المقدمة قوة كاتبها في أعلى درجها كما أظهرت لنا ضعفه في أسفل دركه . أما قوته فهي انه أدرك بذهنه الوقاد ، وعقله المطلق من أسر التقليد والاستعباد . أن إنجيل المسيح لم ينقل نقلا صحيحا ولم يحفظ كله وأن الاهواء تلاعبت أيضاً بتفسير ما نقل فأفسدت ما بقي فيه من دماء الاصلاح والحق وأن أشد الناس عبثا في تعليم المسيح بولس زعيم النصرانية — الخ ماقرأت في المقدمة

وأما ضعفه فهو أنه نظر في سن الكبر وطور الزهد واليأس الى تلك المواعظ التي قارع بها المسيح مترفي اليهود ومتطعميهم وتأمل في غلو النصارى في المسيح وادعاء الألوهية له بإغراء بولس ومن دخل فيه من الوثنيين فرأى في المواعظ قوة الهية (وهي قوة الوحي) ورأى الناس فتنوا بالمسيح فاستدل بذلك على أنه هو الله «تعالى الله عن ذلك»

هذا وقد وقع في س ٨ ص ٢٢٩ لفظ الفارسيانين وصوابه «الفريسيين» وفي س ٢١ ص ٢٢٩ جملة «لا يلزم (كما يظهر) على تعليق» وصوابها « لا يلزمه (كما يظهر) تعليق»

﴿ باب الاسئلة والاجوبة ﴾

(س ١) صخرة بيت المقدس ـ السيد احمد منصور الباز بطوخ القراموص: ماراًي سيادتكم في الصخرة الموجودة ببيت المقدس هل هي مرفوعة في الهواء كما يزعم بعضهم وهل رفعها كان معجزة للنبي ؟ نرجوكم إظهار الحقيقة ورفع اللبس

(ج) اننا قد زرنا المسجد الاقصى ورأينا الصخرة وعرفنا منشأ الشبهة في أقاويل الناس فيها على انها ليست مرفوعة في الهواء . ذلك ان الداخل في الحرم يرى في وسطه الفسيح بناء مرتفعا يصعد اليه بالسلالم وسطح هذا البناء الواسع مرصوف بالبلاط وفيه قباب أعظمها وأكبرها وأكثرها زخرفا قبة الصخرة وبالقرب منها قبة يسمونها قبة المعراج يقولون ان النبي صلى تعالى عليه وآله وسلم عرج منها . والصخرة موضوعة في قبتها وقد جعلت سقفا لمغارة صناعية تحتها لها باب ينزل اليه بسلم قصير . فهم يقولون ان الصخرة كانت في الهواء حيث هي الآن وان الناس بنوا تحتها هذا البناء ووصلوه بها . وشبهتهم ان الصخرة مرتفعة عن أرض الحرم التي هي الآن سطح الحرم الاصلي الذي تحت الارض . وفاتهم أن رفع الصخرة من أرض الحرم الذي في الارض أو سطحه الذي هو صحن المسجد لهذا العهد متيسر للانسان ويوجد له نظائر في مباني الغابرين والحاضرين

« س٢» حجارة الوقود بجوار الكليم ـ ومنه: هل في الحجارة التي بجوار سيدنا موسى معجزة له اذ تكون وقودا في تلك الأرض واذا نقلت منها تكون كسائر الحجارة لا تشتعل؟

« ج » انه لا يوجد في الدنيا حجارة تشتعل فتكون وقودا الا بسبب طبيعي ولا معنى لهذه المعجزة الآن والناس متهمون جميعا بنقل الغرائب فيجب التحري التام فيما ينقلون منها فمن تحرى علم ومن لم يتحر وهم،

(س٣) شهورش قاضي الجن ـ السيد حسن السلجي بمصر : يزعمون أنه كان للجن قاض يقال له شهورش وأنه كان يتلقى العلوم بالأزهر وكان يحضر دروس لشيخ الباجوري ويسأله عن بعض المسائل التي تشكل عليه على مرأى من الناس ومسمع . وقد حضرت مناظرة في ذلك بين فريقين منكر ومصدق فأبى المصدق ان يرجع الا بفتوى دينية وهي ماننتظره من المنار الأنور :

« ج » ان الجن من العوالم الغيبية واسمهم يدل على خفائهم واستتارهم وقد قال الله في ابليس وهو من الجن : « إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم » وقد نقل عن الامام الشافعي تشديد عظيم على من يدعي رؤيتهم حتى قيل انه أفتى بكفره بهذه الآية . وقد اختلف النقل عن الصحابة في رؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهم فروي عن ابن مسعود انه رآهم وروي عن ابن عباس أنه لم يرهم وأنه لو رآهم لما قال الله تعالى « قل أوحي الي أنه استمع نفر من الجن » وقال بعض العلماء ان ابن عباس قال بما يدل عليه القرآن وابن مسعود قال بما ثبت عنده ولا منافاة بينهما . وأدعى بعضهم ان رؤيتهم تكون كرامة للأولياء وسيأتي البحث فيه في موضعه من مقالات الخوارق والكرامات ولكن لم يقل أحد من المسلمين ولا من غيرهم ان الجن يظهرون ويسألون العلماء على مرأى من الناس ومسمع . وان للناس من الحكايات عن الجن في كل قطر وكل شعب مايكاد يصل بهم الى حد الجنون . والله يعلم انهم لكاذبون

(س ٥) الدليل على وجود الجن ـ بكير بن سمايه بالجزائر : هل يوجد دليل عقلي على وجود الجن ؟

(ج) ان وجود أي شيء من الموجودات لا يعرف بالأدلة العقلية وإنما يعرف بالحس أو بالخبر الصادق فاننا نعتقد بوجود كثير من الحيوانات والنباتات والمعادن ولم نرها . أما العقل فانه يدلنا مع الاختبار بأن في هذا الكون موجودات كثيرة لا نعرفها وترون في أصغر الكتب الطبيعية كالنقش في الحجر للدكتور فانديك أن في هذا الكون عوالم لا نعرفها لانها لا تدرك بحواسنا هذه ولو خلق لنا حواس غيرها لأدركنا مالا ندركه الآن . الجن عالم خفي أو غيبي أخبرنا بوجوده الأنبياء المؤيدون من خالق الكون بالوحي والإلهام فوجب التصديق بذلك . وإننا نرى الاعتقاد بوجودهم فاشياً في جميع الأمم والشعوب الهمجية والمتمدنة الوثنية والموحدة والملحدة . واننا نعد من نوع الجن هذه الاحياء الصغيرة التي لا ترى الا بالنظارات المكبرة فاللفظ اللغوي (جن) يتناولها وفي الحديث القائل بأن الطاعون من وخز الجن مايدل على ذلك والله أعلم

(س ٤) الإيمان بخاتم النبيين ـ عبد الحميد افندي نجيب بنيابة الزقازيق : هل يكون ايمان المسلم صحيحاً اذا اعتقد ان رحمة الله تعالى لا تسع من لا يؤمن بنبوة محمد

صلى الله عليه وسلم ومات على ذلك وقد قال تعالى « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء (وقال) ورحمتي وسعت كل شيء »

(ج) ان رحمة الله تعالى وسعت كل شيء حتى المشركين فانهم انما يعيشون برحمته ويتمتعون بفضله ومن رحمته بالعالمين أن أرسل اليهم خاتم النبيين يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم . ولا توجد طريقة لترقية الروح وتزكيتها تزكية تستوجب بها الرحمة الخاصة في الآخرة الا شريعته وملته ولذلك قال عز وجل بعد بيان أن رحمته وسعت كل شيء « فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون * الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونهم مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر » الآية . فمن بلغته دعوة هذا النبي الكريم على وجهها وأعرض عنها فلا يستدبا يمانه . ولكن اذا بلغته على غير وجهها أو نظر باخلاص وبحث فلم يظهر له صدقها فهو معذور وتقدم بسط هذا المعنى في المنار غير مرة

(س ٤) ترجمة القرآن — رضاء الدين افندي قاضي القضاة وعضو الجمعية الشرعية في أوفا (الروسية) : نشكر لكم بما لا مزيد عليه ما كتبتم في المنار جوابا عن سؤالي في مسألة حدوث العالم فإنا طالعناه مع الأحباب والعلماء الكرام بمزيد الشوق وعجبنا من سعة اطلاعكم وتبحركم في الفنون .... ثم اني أعرض على حضرتكم سؤالا آخر وهو . هل يجوز ترجمة القرآن الشريف الى اللغات الأعجمية كالفارسية والتركية وغيرهما ؟ ونسمع ان بعض علماء الهند نقله الى لغة الاوردو فهل ذلك صحيح وما حكم الشريعة في ذلك ؟ نرجو من حضرتكم الجواب في أحد أعداد المنار لتكون الفائدة عامة لنا ولغيرنا :

(ج) ان هذا القرآن عربي « ولو أنزلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي » ومن مقاصد الاسلام العالية جمع البشر على دين واحد ولغة واحدة لتكمل وحدتهم . وتحقق أخوتهم . وقد بينا هذه الحكمة من قبل ولا سبيل اليها الا بتحتيم بقائه عربيا . وان بقاءه عربيا داخل في معنى حفظ الله له . فترجمته غير جائزة وغير متيسرة فانه معجز في بلاغته وتأديته للمعاني ولن يستطيع ان يترجمه الا من يصل الى درجة الاعجاز في اللغة التي يحاول نقله اليها ويكون مع هذا في فهم

الاساليب العربية منقطع القرين ، وفي فهم الاسلام ومعرفة حقائقه آية في العالمين ، كلا انني موقن بأن ترجمة القرآن مستحيلة وانه لايوجد في البشر من يستطيع ان ينقله الى لغة أخرى بحيث يفهم قارئ الترجمة كل مايمكن أن يفهم من القرآن العربي المبين . وان من أكبر الجرائم والجناية على الدين ان يحاول المسلمون هذا الامر فيكون عند التركي قرآن تركي وعند الفارسي قرآن فارسي وهلم جرا . وقد عثر بعض العلماء فقال بجواز القراءة بالفارسية لمن عجز عن العربية ولكن طبيعة الاسلام لفظت هذا القول وتركته كالشيء اللقا ولم يعمل به أحد من المسلمين مع احترام قائله لأنه لم يكن سيء القصد . ولو أخذ الناس بهذا القول لما انتشرت اللغة العربية في الاقطار الاسلامية ولصدم الاسلام صدمة أرجعته الى جزيرة العرب وحبسته فيها

أقول هذا على تقدير ان المراد من السؤال ترجمة القرآن وحسبان الترجمة قرآنا باعتبار أن العبرة بالمعاني كما قال بعض العلماء والا كتفاء بذلك . وأما اذا ترجم شيء من القرآن بقصد جعله وسيلة للدعوة الى الاسلام فلا بأس بذلك لاسيما اذا كان من تراد دعوتهم كالافرنج الذين يبحثون عن أصول الاديان ولا يكتفون بعرض آراء علمائها عليهم لانهم يعتقدون ان علماء كل دين تصرفوا فيه باجتهادهم أو بأهوائهم . ومن يترجم القرآن بعضه أو كله لهذا الغرض فعليه أن يبين في مقدمة الترجمة أنه نقل الى لغة كذا مافهمه هو من القرآن ان كان يعتمد على فهمه أو مافهمه فلان المفسر ويذكر من اعتمد على تفسيره . واذا اعتمد على غير واحد من المفسرين فليذكر أسماءهم واذا أشار في هامش الترجمة الى عزو كل قول الى قائله فذلك أفضل وأكمل

وحسب المسلمين من الأعجمين تقصيرا في حق القرآن ان فسروه بلغاتهم وكان الواجب عليهم ان يجتهدوا في تعميم اللغة العربية ويفهموه بالعبارة العربية التي أنزل بها . ولولا الصدمات السياسية التي صدمت الاسلام لظل أهل فارس ومن يجاورهم الى هذا الزمن ينطقون بالعربية كما كانوا في القرون الأولى للاسلام بل لكانت بلاد الهند والافغان والترك وجزء عظيم من بلاد الصين كبلاد سوريا ومصر لهذا العهد ولكان في ذلك للاسلام سياج من الوحدة لايخرق . واذا لم يسع المصلحون في تلك البلاد وأمثالها بتعميم اللغة العربية فاهم بمصلحين ولا عاملين للاسلام ، وليعلموا

ان اعتصامهم بالجنسية اللغوية لايمنعهم من ابتلاع أوربا لهم في يوم من الأيام .

أما ترجمة أحد علماء الهند القرآن بلسان الأوردو فلم نسمع به ونرجو من قراء المنار في الهند إعلامنا بالحقيقة

القسم العمومي

نظام الحب والبغض

(رسالة في علم النفس وفلسفة الاخلاق للعالم العامل ع . ز)

(تمهيد) (١) ان للشرور أسباباً معظمها ناتج من أوهام باطلة . فيجب إحياء الحقائق وإزهاق الأوهام.

(٢) ان للأوهام أسباباً معظمها ناشئ من الجهل — البسيط والمركب — فيفرض تنوير الأذهان بقدر العلم وان كان قليلا .

(٣) ان للجهل أسباباً معظمها آت من قلة القراءة والكتابة الصحيحتين. فيلزم السعي في تكثير القراء الذين يفقهون مايكتب — كتابة صحيحة — والكتاب الذين يعرفون كيف يكتبون

(٤) ان لقلة القراءة والكتابة — الصحيحتين — أسباباً معظمها صادر عن رداءة أصول التعليم. فيتحتم الدلالة على الاصول النافعة وتمويد الناس عليها .

(٥) ان لرداءة أصول التعليم أسباباً جلها من التقليد الأعمى وإهمال التفكر. فلا بد من النصح والتناصح بالتفكر .

(٦) ان للتقليد الأعمى أسباباً أكثرها ناجم عن اختلال شئون النفوس في حبها وبغضها فيتعين وصف علاجات تشفي من هذا الاختلال ولو قليلا .

هذه الفرائض المشروحة لايشك في وجوبها عاقل ولكن من هم المكلفون بها؟ أنتم يا علماء النفس مكلفون بهذه الفرائض . ومذ كلفت نفسي ان تتشرف بالدخول في زمرتكم طفقت أطالع صفحات كتاب الوجود بعين البصيرة وأقيد النتائج في دفتر المذاكرة . فهذا ماشجعني اليوم على أن أشاركم في أعمالكم . ومن أجل هذه المشاركة حررت فصولا لتأدية بعض هذه الفرائض أكثرت فيها من التوضيح

وأقلت الفضول وتوخيت أسهل العبارات وأجمل الإشارات وراعيت فيها فهم الصغير (من حيث القراءة لا من حيث السن) والكبير . ووهم الجليل والحقير ، وعدلت عن قيل زيد وعبيد واستمسكت بما أرسل الله لأبصارنا وبصائرنا من الأمثال .

واليكم ياقراء المنار الزاهر أقدم هديتي هذه (نظام الحب والبغض) بمساعدة منشئه العلامة المرشد أعلى الله مناره ، وأيده بعنايته .

* * *

قطبان في الانسان عليهما تدور أحوال نفسه هما الحب والبغض . فهل يمكن إدخالهما تحت أحكام نظام ؟ (الجواب)

في هاتين القوتين المتنافرتين تكلم الانبياء والمرسلون . والحكماء المتبعون ، والعلماء المعلمون ، والشعراء الواصفون . والادباء المحاضرون ؛ وبهما تقارب الناس وتباعدوا ؛ وتحازبوا وتحاربوا ؛ واجتمعوا وتفرقوا ؛ وتعاونوا وتخاذلوا ؛ ومن أجلهما طغوا واعتدلوا ؛ وأنصفوا وجاروا ؛

تكلم الناس كلهم في الحب والبغض ولكن اختلفت الاصطلاحات ؛ وتنوعت المقاصد ؛ واختلفت المشارب ؛ فتعددت الاسماء ؛ وكثرت الكلمات ؛ وتوفرت المعارضات والمجادلات ؛

فكلام الناس فيهما الدائر على مايجب ان يحب ومايجب ان يبغض يلوح ويصرّح بأنه من الممكن إدخال هذين المؤثرين تحت حكم « نظام »

وعلى هذا نكون نحن سالمين من الخطأ في تعبيرنا عن علم النفس واخلاقها بنظام الحب والبغض . بل نكون قد أصبنا عبارة هي أوضح من اخواتها في الدلالة على هذا العلم النفيس المفيد .

هذا — أي امكان دخول الحب والبغض تحت نظام — رأي طوائف العالم على اختلافهم ؛ به تشهد الاديان والعقول ، وله تؤيد المشاهدة والتجربة . ولآخرين قليلين رأي آخر هو عدم الامكان

وسيرى الذين يخالفون بياناً شافياً في هذا المقال . وسيذكر فيه الموافقون .

ماهو الحب وما هو البغض

ان لحياة الانسان (كسائر الحيوانات) نظاماً عرف بعد وجوده ولم يعرف مبتدأ وجوده . وقد عرف ان هذا النظام شبيه بنظام مملكة كثيرة الاجزاء بعض أفرادها مهم جداً خلوهامنه يوجب خللا كبيراً فيها. وبعضها من قبيل الخدم والأعوان لايوجب خلوهامنه خللا يذكر . وقد احتاج الناس من قديم الزمان لأجل التعريف بمعروفاتهم الى تسمية الاشياء باسماء يتواضعون عليها . فاما التي يشيع عرفها بين الناس فتصير أسماؤها من قبيل مفردات اللغة التي يتكلمون بها بمعنى ان استعمالها العام لمعناها المشهور يجعل معناها اللغوي المشهور عاما . وأما التي لايشيع عرفها الا بين العلماء منهم فتصير أسماؤها من قبيل مفردات العلوم التي يتداولونها . بمعنى ان استعمالها الخاص يجعل معناها المقصود عند العلماء خاصا . مثاله (١) كلمة «المبتدا» معناها العام «الأوّل» ومعناها الخاص عند علماء النحو الكلمة المسند اليها حكم من الاحكام. ومثاله (٢) كلمة «المجاز» معناها العام «المرّ» ومعناها الخاص عند علماء البيان العدول في كلمة عن معناها الأصلي والأجزاء التي يتكون منها نظام الحياة قد سمي كل منها باسم وجرى على كل منها الاستعمال العام أما مجموع مابه نظام الحياة فسماه القدماء من أهل لغتنا «النفس» لكن هذه الكلمة لدلالتها عن مدلول عظيم شأنه قد اتخذها العلماء لمعنى غير الذي يفقهه منها العامة من الناس . ومن ثمة كانت جديرة ان نقول انها «كلمة علمية» بمعنى ان لها معنى خاصا عند العلماء بخواصها وأحوالها .

«والحب والبغض» من هذا القبيل . أي انهما في اعتبار العامة كلمتان من جملة ماهو مشهور المعنى من مفردات لغتهم . وفي اعتبار العلماء — علماء النفس — هما كلمتان مدلولاها تحت النظر والبحث يتساءلون فيما يلزم عن تعريفهما .

على انه يجب ان نصرّح بأن العلماء من حيث الجملة كثيراً مايعرفون المعروفات ويوضحون الواضحات . وكثيراً مايلتجئ من كثرة كلماتهم واصطلاحاتهم في توضيح الواضحات إيهامات يشغلون بها اذهان القارئين على غير جدوى . هذه حقيقة يجب أن لاتغافل عنها . وان لانغفل ذكرها . وهي تفرض علينا ان لانقلدهم في كل أبحاثهم وان لانشاركهم في الكلمات التي ابتدعوها في أكثر المواضع لاشيء الا حب توسيع مسافة الفرق بينهم وبين العامة .

ولكن لهذا الأمر مستثنيات هي التي تفتح لحسن الظن بنياتهم باباً كبيراً . وهذان الحرفان اللذان نحن بصددهما من مستثنيات هذا الامر . فكلنا نحب ونبغض ولكن في الحقيقة ما كل واحد منا يعرف ماهو الحب وماهو البغض . ومن ثمة اختلفت تعاريفهما أيضاً بلسان العلم

والتعريف الموافق هو ان الحب اعتقاد خير راجح أو مناسب للنفس المحبة من الجهة المحبوبة (٠) والبغض ضده فهو اعتقاد شر الى آخر التعريف. وبهذا التعريف يمكننا بغاية السهولة ان نعرف العلة ونجيب عن هذا السؤال : « لما ذا نحب ونبغض »

وهذا التعريف الحقيقي هو الذي سهل لنا الحكم بأن دخولهما تحت حكم « نظام» ممكن لأن هذا الاعتقاد قد يكون صوابا وقد يكون خطأ شأن كل اعتقاد . فكما أمكن بواسطة العلم ارجاع كثير من الناس عن خطأهم في أشياء كثيرة يمكن ارجاع معتقد الخير والملائمة أو الشر والمباينة في جهة من الجهات عن ذلك الاعتقاد فيما المرء يحب اذا هو يبغض . واذا سلمنا التعسر احياناً لانقول بالتعذر . وسيوضح هذا أمثلة كثيرة

﴿ حب الذات ﴾

وعلى حسب التعريف السابق للحب وضده . وعلى حسب التعليل المتقدم (لماذ نحب ـ لماذا نبغض) يظهر ان الانسان لايحب غيره الاّ لأجل ذاته فهو بهذا الحب لم يخرج عن حب ذاته الا بحسب الصورة فقط . فهل هذا صحيح ؟ وماالدليل عليه ؟ وهل محبة الذات أمر نافع أم أمر ضارّ ؟

نعم ان الانسان لايحب غيره الاّ لأجل ذاته . وهذه الحقيقة دقيقة جدّا يدركها بعض بالبداهة ولا يدركها البعض الاّ بالإيضاح . ونحن نجمل الكلام ونذكر رؤوس المباحث التي تتعلق بأذيالها . ونشرحها قضية قضية موجزين : (١) الانسان يحب ذاته (٢) حب الذات في أصله طبيعي نافع . « ٣ » ذات غيرنا كذاتنا فلا بد من حد

(٠) المنار: ادراك النفس قسمان فكر ووجدان والاعتقاد من الاول والحب من الثاني وكذلك البغض فالحب شعور وجداني بأمر يلائم النفس لانه خير لها في نظرها والخير هو النافع واللذيذ والنفع يعرف بالفكر واللذة تعرف بالوجدان فوجدان الحب معلول لأحدهما أو كليهما

فى الحقوق لنا ولغيرنا ، فحب الذات له حدود . (٤) اذا تجاوزنا الحدود فى حب الذات صار ضارًا . (٥) اذا لم نحب غيرنا لانقدر ان نقف عند الحدود (٦) اذا لم نحب ذاتنا ، لانقدر ان نحب غيرنا . (٧) بعض الذات مرض . (٨) قد يكون هذا المرض نافعاً اذا سلمت به النفوس من الشرور . (٩) متى كان الحب والبغض ناشئين عن فكر سليم كانت السعادة ،

« للكلام بقية »

أنار الله عليه

كتابة القرآن بالحروف الانكليزية

كتب بعض المسلمين فى الترنسفال الى جريدة فى مصر ثلاثة أسئلة لتعرضها على بعض علماء الازهر فعرضتها على الشيخ محمد بخيت فأجاب عنها ونشرت الجريدة أجوبته . أحد الاسئلة عن التزوج بأخت الرضيعة وجوابه معروف وهو انه لايحرم على الرجل الامن رضعت هي وإياه من امرأة وأما أخت الرضيعة فلاتحرم . والسؤال الثاني يتعلق بالاقتداء بالمخالف وبينا الراجح فيه عندنا فى آخر الجزء الماضي وأن فى المسألة قولين مصححين ولكن الشيخ ذكر ان الاصح خلاف مارجحناه وهو المذكور فى كتب الفقه وهم أسرى تلك الكتب .

وأما السؤال المهم فهو ما جعلناه عنوانا لهذه النبذة وقد أجاب عنه الشيخ بجواب ننقله عن تلك الجريدة مع السؤال ثم نبين رأينا فيه وهو :

« سؤال — ماقولكم علماء الاسلام ومصابيح الظلام أدام الله وجودكم هل يجوز كتابة القرآن الكريم بالحروف الانكليزية والافرنسية مع ان الحروف الانكليزية ناقصة عن الحروف العربية ومعلوم ان القرآن الكريم أنزل على لسان قريش فالانكليزي مثلا اذا أراد ان يكتب مصر بالانكليزية تقرأ « مسر » أو أحمد تكتب « أهمد » ويكتب « شيك » بمعنى شيخ لاسيما واخواننا المسلمون فى مصر يعرفون اللغة الانكليزية وغيرها والبعض من المسلمين فى جنوبي أفريقية فى جدال عنيف منهم من يجوّز ومنهم من يقول غير جائز . أفيدونا ولكم الاجر والثواب من الله تعالى